الجنة

نعيمها والطريق إليها

بقلم : علي حسن علي عبد الحميد الحلبي الأثري

دار ابن حزم


الجنّة
نعيمها والطريق إليها


بسم الله الرحمن الرحيم

الجنّة

نعيمها والطريق إليها

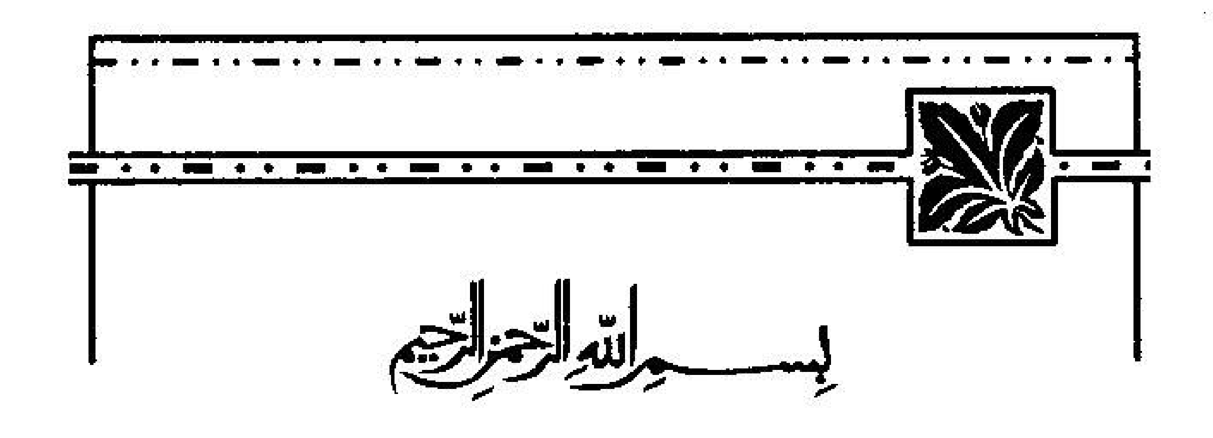
بقلم : علي حسن علي عبد الحميد الحلبي الأثري

دار ابن حزم

الطَّبْعَةُ الأُولى
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

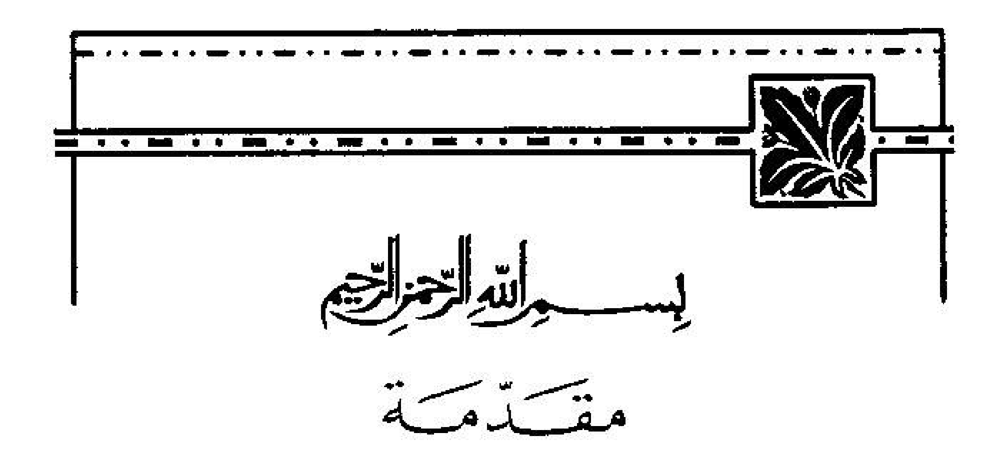
دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤



﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾ [محمد: ٦].

* * *



مقدمة

إنَّ الحمدَ لله نحمدُهُ ونستعينُه ونستغفِرُه، ونعوذُ بالله مِن شُرورِ أنفُسِنا، ومِن سَيِّئاتِ أعمالِنَا، مَن يهده الله فلا مُضلَّ لَهُ، ومَن يُضللْ فَلاَ هَادِيَ لَه، وأشْهَدُ أنْ لا إله إلاَّ الله وَحْدَهُ لا شريكَ لَه، وأشهدُ أَنَّ محمداً عبدُه ورسولُه.

أما بعد:

فاعلم أخي المسلم ـ وفقني الله وإياكَ لطاعتِهِ ـ أنَّ الجنةَ هي دارُ المتقين، دارُ الذين أنعمَ الله

عليهم من النبيينَ والصديقينَ والشهداءِ والصالحينَ، دارٌ جِنانُها تجري من تحتها الأنهارُ، دارٌ قصورُها لَبِنَةٌ من ذهب وَلَبِنَةٌ من فضة، طينُها المِسكُ الأذفر[1]، وحَصْبَاؤها اللؤلؤ والياقوتُ، وتُربتُها الزعفرانُ، وخيامُها اللؤلؤُ المجوَّفُ.

هي - والله - نورٌ يتلألأ، وريحانةٌ تهتزُّ، ونَهْرٌ مُطَّرِدٌ، وفاكهة، وخضرةٌ، وزوجاتٌ حِسَان.

فيها العِبَادُ المُنَعَّمونَ الذين يأكلونَ ولا يمتخطونَ، ولا يبولون، بل مِسْكٌ يَرْشَحُ[2]، فيها المُنعَّمون الذين يضحكونَ ولا يبكونَ، ويُقيمونَ ولا يظعنون[3]، ويَحيَوْنَ ولا يموتون، فيها الوجوهُ المُسفِرةُ، الضاحكةُ المستبشرةُ.

---

(١) الجَيِّدُ غاية في الجودة.

(٢) يسيل.

(٣) يرتحلون ويسيرون.

فيها الجمالُ المبينُ، والحورُ العِين، فيها النعيم الدائم، بل كلُّ شيء باسم، فيها يُرفع الحجاب فينظر الفائزون إلى وجه العزيز الوهَّاب.

فيها - يا عبدَ الله - ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خَطَر على قلب بشر[1].

بشَّر بهذا كلِّه: نبيُّ الخيرِ والهُدى والنورِ، محمدُ بن عبدالله، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، بوحي من ربه العظيم المتعالِ، فهي بشارةٌ مِن خير البشائرِ، على لسانِ خَيرِ البَشَر ﷺ.

وقد صَنَّفَ أهل العلم قديماً وحديثاً مصنفات عديدة، ورسائلَ شتَّى، في ذكر الجنَّةِ، ونعيمِها، وصفة أهلها.

فأحببت أن أسير على هَدْيِهم، وأتَّبعَ نهجَهم،

---

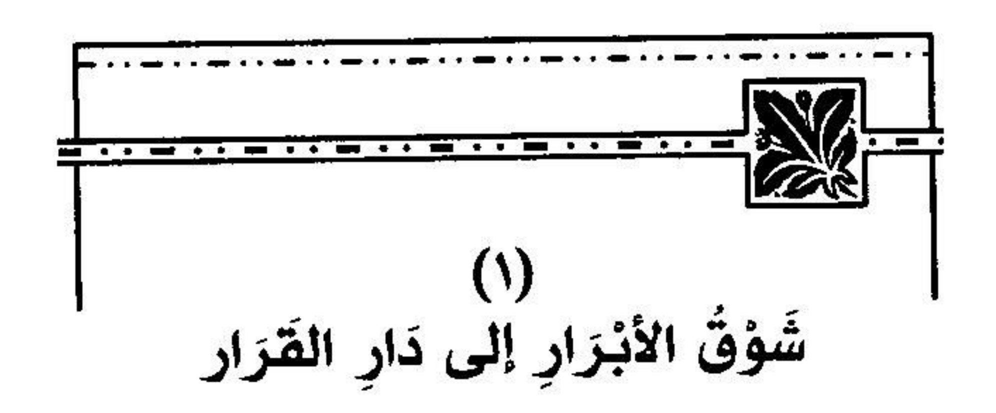
(١) «أهوال القيامة» (١٢٣) بتصرف.

وأنسُجَ على منوالِهم، مُلَخِّصاً ما كتبوه، ومنتقياً أصحَّ ما دوّنوه، ومضيفاً مباحثَ أخرى لا يُستغنى عنها[1]، عسى أن يُلحقني الله سبحانه وإخواني الصالحين، بأولئك الرهط القانتين الطاهرين، إنه سميعٌ عليمٌ، مجيبٌ للسائلين، وصلى الله وسلم على أشرف المرسلين، سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتب:
ابو الحارث علي بن حسن

---

(١) ولم أستقص في رسالتي هذه الآيات والأحاديث الواردة في الجنة وصِفَتِها، ولو فعلت لطالت الراسلة وتضاعفت، لكنها ذكرى لنفسي ولإخواني، مُيَسَّرة لطيفة.



(١)
شَوْقُ الأبْرَارِ إلى دَارِ القَرَار

«الجنَّةُ»، تلك الأمنية الغالية التي يسعى إليها الساعون من المؤمنين على مرِّ العصور.

«الجنَّةُ»، تلك التي كانت في قلوب السَّلَفِ الصالحِ شُعْلَةَ تحركهم لضرب أعلى أمثلةِ البطولةِ في الجهادِ والتضحيةِ.

«الجنَّةُ»، تلك الغايةُ الكريمةُ التي ترنو[١] إليها

(١) تُديمُ النظرَ بسكونِ طرفٍ.

العيونُ الحالمةُ، وتهفو إليها الأرواح المشوقة في كلِّ زمان ومكان، يستعذبون العذابَ من أجْلِ الحصولِ عليها.

إنها أعظمُ مرغوب عند المؤمن، ودخولُها والانتهاءُ إليها، أملٌ يتراءى له في رحلةِ العمر التي تستغرقُ حياتَه كلَّها.

وما أكْثَرَ ما كانتِ الجنةُ حافزاً إلى الخَيْرِ والحق، مهما كان في هذه الطريق من المخاطر والعقبات والأشواك، بل لو كان فيها الموتُ المحقّقُ.

قد كان هذا أيّام النبي ﷺ، كما أخبرَ أنسٌ رضي الله عنه قال:

انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون، فقال رسول الله ﷺ:

«لا يُقَدِّمَنَّ أحدٌ منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونَه».

فدنا المشركون، فقال رسولُ الله ﷺ:

«قوموا إلى جَنَّةٍ عرضها السماوات والأرض».

قال عُمير بن الحُمامِ الأنصاريُّ: يا رسولَ الله، جنة عرضها السماواتَ والأرض؟

قال: **«نعم»**.

قال: بَخٍ بَخٍ[1].

فقال رسول الله ﷺ: **«ما يحملك على قولك: بَخٍ بَخٍ؟»**.

قالَ: لا - والله - يا رسولَ الله، إلا رجاءَ أن أكون من أهلها!.

---

(١) كلمة تُطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخَيْر.

قال: «**فإنك من أهلها**».

فأخرج تَمرات من قَرَنِه[1]، فَجَعَلَ يأكلُ مِنهُنَّ، ثم قال: لئِن أنا حييتُ حتى آكلَ تَمراتي هذه، إنها لحياةٌ طويلةٌ!!

فرَمَى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتِل[2].

وكان مثل هذا الموقف أيضاً في الأيامِ من بعده، فلقد قال أبو موسى الأشعريُّ، وهو بحضرة العدو: قال رسول الله ﷺ: «**إن أبواب الجنَّةِ تحت ظلال السيوف**»، فقال رجلٌ رثُّ الهيئة: يا أبا موسى!! أأنتَ سمعتَ رسولَ الله ﷺ يقولُ هذا؟

قال: نعم.

---

(١) هي جعبةُ النُّشّاب.

(٢) رواه مسلم (١٩٠١)، وانظر: «تخريج فقه السيرة» (٢٤٣)، لأستاذنا العلاّمة الألباني.

فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأُ عليكم السلام.

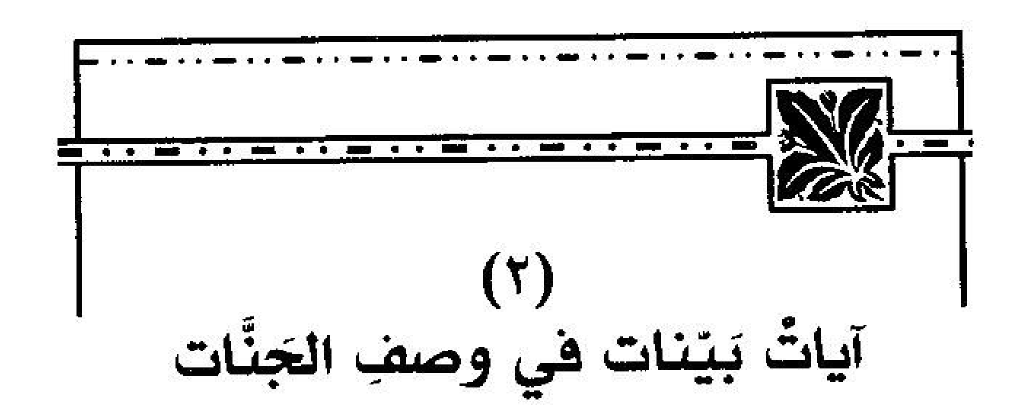
ثم كَسَرَ جَفْنَ[1] سيفِهِ، فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدوِّ، فضربَ به حتى قُتِل[2].

❋ ❋ ❋

---

(١) غلافه.

(٢) رواه مسلم (١٩٠٢)، والترمذي (١٦٥٩)، وأحمد (٣٩٦/٤ و٤١١)، والحاكم (٧٠/٢)، وأبو نعيم (٣١٧/٢)، وانظر الفصل البديع الماتع الذي كتبه الأستاذ محمد الصباغ في كتابه المستطاب «التصوير الفني في الحديث النبوي» (١٥٢ ـ ١٧٩)، و«إرواء الغليل» (٧/٥) للمحدث الألباني.



(٢)
آياتٌ بَيّنات في وصفِ الجَنَّات

لقد وَصَفَ الله سبحانه وتعالى الجناتِ في كتابه وصفاً عظيماً يقومُ مَقَامَ العيان، وذلك في غير سورة من القرآنِ، فقال وهو الرحيم الرحمٰن، العظيمُ الشَّان:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ[1] إِخْوَٰنًا

(١) حقد وبغضاء وشحناء.

عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ (47) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ[1] وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٥ ـ ٤٨].

وقال ذو الجلالِ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ[2] فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣].

وقال:

﴿إِنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ (55)[3] هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ (56) لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ (57) سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ (58)﴾ [يس: ٥٥ ـ ٥٨].

---

(١) إعياء وتعب.

(٢) يلبسونها كَحِلْيَة وزينة.

(٣) مُنعَّمون وعندهم فاكهة كثيرة.

وقال:

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا[1] حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ[2] فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ[3] نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٣، ٧٤].

وقال:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ[4] وَإِسْتَبْرَقٍ[5] مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ

---

(١) جماعات جماعات.

(٢) طُهِّرْتُمْ من دنس المعاصي والذنوب.

(٣) أرض الجنة.

(٤) الرقيق من الحرير.

(٥) السميك من الحرير.

فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الدخان: ٥١ ـ ٥٥].

وقال:

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ[1] وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ[2] وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾[3] [محمد: ١٥].

وقال:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ

---

(١) غير متغير الرائحة.

(٢) هو خمر لذيذ الطعم، يتلذذ به الشاربون، وليس كخمر الدنيا الكريه الطعم، الذي لا يلتذُّ به إلا فاسد المزاج.

(٣) وفي هذه الآيات الكريمة مُقَابَلَةٌ بين حال أهل النعيم وحالِ أهل الجحيم، لمعرفة النار وأهوالِها وأحوالِ أهلها، انظر رسالتي «جهنَّم: أهوالُها وأهلُها» طبع دار ابن حزم.

عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥].

وقال:

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ(١) مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾(٢) مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾(٣) لَّا يُصَدَّعُونَ(٤) عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ(٥) ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾(٦) جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا

---

(١) جماعة كثيرة.

(٢) أسِرَّة منسوجة بالذهب.

(٣) الخمر الجارية من العيون.

(٤) لا تتصدع رؤوسهم من شُربِها.

(٥) لا يسكرون فتذهب بعقولهم، كخمر الدنيا.

(٦) المستور.

تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾(١) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾(٢) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾(٣) وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾(٤) عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾(٥) لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الواقعة: ١٠ ـ ٤٠].

وقال:

﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا

---

(١) شجر النبق الذي قُطع شوكه.

(٢) شجر الموز المتراكم.

(٣) ظل دائم باق لا يزول.

(٤) عذارى.

(٥) عاشقات لأزواجهن ومتساويات في السن.

وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾[1] وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ [الإنسان: ١٢ ـ ٢١].

وقال:

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ[2] أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾[3] لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) أدنيت ثمارها منهم.

(٢) الجارية التي خرج ثديها، كما في «التسهيل لعلوم التنزيل» (١٧٤/٤).

(٣) ممتلئة صافية.

وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ [النبأ: ٣١ ـ ٣٨].

وقال:

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ(١) وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

وقال:

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾ [الفرقان: ١٥، ١٦].

---

(١) متشابهاً في الشكل والمنظر، لا في الطعم والمَخْبَر.

وقال:

﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ[1] أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾[2] [ص: ٤٩ ـ ٥٤].

وقال:

﴿وَأُزْلِفَتِ[3] ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ[4] حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾[5] ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣١ ـ ٣٥].

---

(١) الحور العين اللواتي لا ينظرن إلى غير أزواجهن.

(٢) لا زوال له ولا انقطاع.

(٣) قُرِّبَتْ وأدنيت.

(٤) رَجَّاع إلى الله.

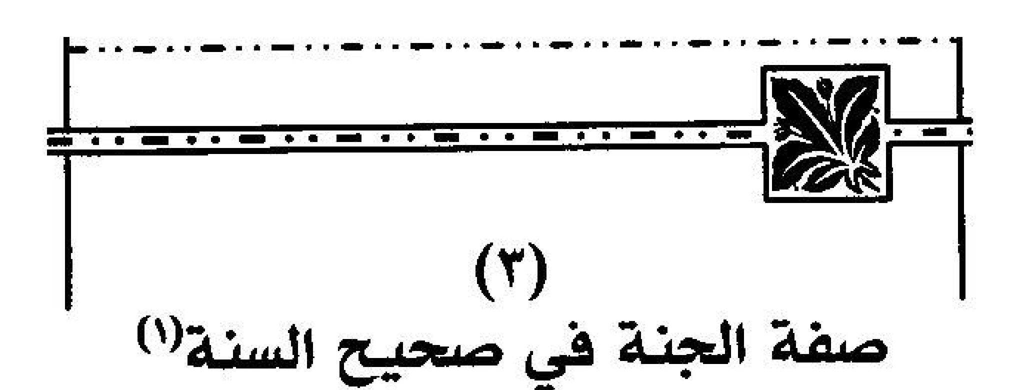
(٥) تائب خاضع خاشع.

وقال:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾[١] [يونس: ٩، ١٠].

***

(١) وفي كتاب الله آياتٌ أخرى كثيرة في وصف الجنة وذكر نعيمها.



(٣)
صفة الجنة في صحيح السنة[١]

اعلم يا عبدَ الله أن النبيَّ محمداً ﷺ قد وصف الجنةَ التي وَعَدَ الله بها المتقينَ وصفاً عميقاً دقيقاً رقيقاً، اطمأنَّ المؤمنون به، وَتَلَذَّذَ الصالحون بمعرفته، وتهنَّأ التائبون بِذِكْرِهِ:

---

(١) من المسائل التي يجب على المسلم اعتقادها أن الجنة مخلوقة وموجودة، وكذلك النار، لما ثبت عن النبي ﷺ أنه: «**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصُفدت الشياطين**» «صحيح الجامع» (٤٨٤) وانظر: «حادي الأرواح» (١١).

١ ـ أوَّلُ مَن يدخلون الجَنَّةَ:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**آتي بابَ الجنةِ يومَ القيامةِ فأستفتحُ**، فيقول الخازنُ: مَن أنت؟ **فأقول**: محمدٌ، فيقول: بكَ أُمرتُ، لا أفتح لأحدٍ قبلك»[(١)].

وعن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَلَدُ آدمَ كلهم تحتَ لوائي يوم القيامة، وأنا أولُ مَنْ يُفتح له باب الجنة**»[(٢)].

٢ ـ صفة الزمرة الأولى من داخلي الجنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

(١) رواه مسلم (١٨٨).

(٢) «صحيح الجامع» (٦٩٩٥).

رسـول الله ﷺ: «إنَّ أولَ زُمـرةٍ يـدخـلـون الـجـنـة على صورة القمر ليلة البدر، والذينَ يلونهم على أشـدِّ كـوكـب دُرِّيٍّ[1] فـي الـسـمـاءِ إضـاءةً، لا يَبُـولُـون ولا يَتَـغَـوَّطـون[2] ولا يـمـتـخـطـون، ولا يـتـفـلـون[3]، أمـشـاطـهـم الـذهـب، وَرَشْـحُـهُـم[4] المِسْكُ، ومجامِرُهـم الأَلُوَّةُ[5]، وأزواجهم الحور العِـيـن، أخـلاقُـهُـم عـلـى خـلـقِ رَجُـلٍ واحـد، عـلـى صـورة أبـيـهـم آدم: سـتـون ذراعـاً فـي السماء»[6].

---

(١) ثاقب مضيء عظيم المقدار.

(٢) لا يتبرزون.

(٣) التفل شبيه بالبزاق، وهو أقل منه.

(٤) ندى العرق على الجسد.

(٥) المِجْمَر: هو الذي يوضع فيه النار والبَخُور، والألوة: هي العود الهندي الذي يتبخر به.

(٦) متفق عليه.

٣ ـ أبوابُ الجَنَّةِ:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أنفقَ زوجين في سبيل الله نُودي من أبوابِ الجنة: يا عبدَ الله هذا خيرٌ، فَمَن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهلِ الصيام دُعي من باب الرَّيَّانِ، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة**»، فقال أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على مَن دُعي مِن تلك الأبواب من ضرورة[1] فهل يُدعى أحدٌ من تلك الأبواب كُلِّها؟ قال: «**نَعَمْ، وأرجو أن تكونَ منهم**»[2].

وعن سهل بن سعد قال: قال

(١) ما عليه من ضرر ولا خوف.

(٢) متفق عليه.

رسول الله ﷺ: «**في الجنة ثمانية أبواب، منها باب يُسمى الرَّيَّان، لا يدخُلُه إلا الصائمون**»[1].

٤ ـ لا مَوْتَ في الجنة:

عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ ينادي مُناد: إنَّ لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تصحُّوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تشبُّوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تُنعموا فلا تبأسوا أبداً**»[2].

٥ ـ مَنازِلُ الجنةِ وَدَرَجاتُها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

قال: «مَنْ آمَنَ بالله ورسولِهِ، وأقَامَ الصَّلاَة، وصَامَ رَمضان، كان حقاً على الله أن يُدخِلَهُ الجنةَ، هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي وُلد فيها»، قالوا: يا رسول الله، أفلا نُنبِىءُ الناس بذلك؟! قال: «إن في الجنة مئةَ درجةٍ أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوسَ الأعلى فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرشُ الرحمٰن، ومنه تُفجر أنهار الجنة»(١).

٦ ـ أهْلُ الجنةِ وَصِفَتُهُم:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يدخلُ أهلُ الجنةِ الجنةَ جُرداً مُرداً(٢) كأنهم

---

(١) رواه البخاري، وانظر في منازل الجنة أيضاً «صحيح الجامع» (٧٨٧٣).

(٢) هم قليلو الشعر.

مُكَحَّلون، أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين سنة»[1].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«يدخلُ الجنةَ أقوامٌ أفئدتهم مثلُ أفئدة الطير»**[2].

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«يُعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع»**، قيل: يا رسول الله أو يطيق ذلك؟ قال: **«يُعطى قوة مئة»**[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَن يدخلُ الجنةَ يُنعم ولا يبأس، ولا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه»**[4].

---

(١) «صحيح الجامع» (٧٩٢٨).

(٢) أي في الرقة والخوف والهيبة، والحديث في «صحيح الجامع» (٧٩٢٤).

(٣) «صحيح الجامع» (٧٩٦٢).

(٤) رواه مسلم.

٧ ـ نِسَاءُ أَهْلِ الجَنَّةِ:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لروحةٌ في سبيل الله أو غدوة، خيرٌ من الدنيا وما فيها، ولقابُ قوسِ أحدكم من الجنة، أو موضع قيد** ـ يعني سوطه ـ **خيرٌ من الدنيا وما فيها. ولو أنَّ امرأة من أهل الجنة اطَّلَعَتْ إلى أهل الأرض لأضاءَت ما بينهما ولملأتْهُ ريحاً، ولَنَصِيفُها**[١] **على رأسِها خيرٌ من الدنيا وما فيها**»[٢].

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إن أزواج أهل الجنة لَيُغَنِّينَ أزواجَهن بأحسنِ أصواتٍ ما سمعها أحدٌ قط، إن مما يغنين:**

---

(١) أي: خمارها.

(٢) رواه البخاري.

نحن الخَيْرات الحسان
أزواجُ قوم كرام
ينظرن بِقُرَّة أعيان

وإن مما يغنين به:

نحن الخالداتُ فلا يَمُتْنَهْ
نحن الآمناتُ فلا يَخَفْنَهْ
نحن المقيماتُ فلا يَظْعَنَّهْ»[1]

٨ ـ طَعَامُ وَشَرَابُ أهْلِ الجَنَّةِ:

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يأكل أهلُ الجنةِ فيها ويشربون، ولا يَتَغَوَّطونَ، ولا يَمْتَخِطُونَ، ولا يَبُولُون، ولكن طعامهم ذاك، جُشاء[2] كَرَشْحِ المِسْكِ،**

---

(١) «صحيح الجامع» (١٥٥٧).

(٢) هو الصوت الذي يخرج من الفم عند امتلاء المعدة.

يُلْهَمون[1] **التسبيح كما يُلْهمون النفس»**[2].

وعن معاوية بن حَيدة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنةِ: بحر الماء، وبحر العسل، وبحر اللبن، وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار بعد»**[3].

وعن أنسٍ قال: قال النبي ﷺ: «**هل تدرون ما الكوثر؟ هو نهر أعطانيه ربي في الجنة، عليه خير كثير. تَرِدُ عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد الكواكب، يختلج العبد منهم فأقول: يا ربِّ إنهُ من أمتي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»**[4].

---

(١) يُصبح ذلك سجيَّةً فيهم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) «صحيح الجامع» (٢١١٨).

(٤) «صحيح الجامع» (٦٩٠٤).

٩ ـ مشاهدُ من الجنة:

في الجنة نعيم مقيم، وخيرٌ عميم، وفضلٌ من الرحمٰن الرحيم.

فيها الأسِرَّةُ المرتفعة التي توحي بالنظافة كما توحي بالطهارة، والأكوابُ مصفوفة مُهَيَّأة للشراب، لا تحتاج إلى طلب ولا إعداد، والوسائد والحشايا للاتكاء في ارتياح، والبُسُط والسجاجيد مبثوثة هنا وهناك للزينة وللراحة سواء.

وكلُّ هذه المناعم التي وردت في كتاب الله تعالى أو سنة نبيه ﷺ مما يشهد الناس لأسمائها أشباهاً في الأرض ولكنْ، عندما تُذكر هذه الأشياء، فتذكر لتقريبها إلى مدارك أهل الأرض.

أما حقيقتها وحقيقة المتاع بها فهي موكولةٌ إلى العزيز الحكيم قيُّوم السماوات والأرض.

أما طبيعتها فموكولة إلى المذاق هناك، موكولة إلى مَذاق الذين يَقْسِمُ الله لهم هذا المذاقَ.

وحياةُ أهل الجنة في الجنةِ، كُلُّها سلام، يرفُّ عليها السلام، ويشيع فيها السلام، تسلم عليهم الملائكة في ذلك الجو الآمِن، ويُسلم بعضهم على بعض، ويبلغهم السلام من الرحمٰن، فالجو كله سلام[1].

أ ـ غُرَفُها:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إن أهل الجنة لَيَتَراءوْنَ أهل الغُرَف من فوقهم كما تتراءوْن الكوكبَ الدُّرِّيَّ الغابر[2] في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل**

---

(١) «اليوم الآخر في ظلال القرآن» (٣٢١ ـ ٣٢٣) بتصرف.

(٢) وهو الكوكب الذاهب المتدلي للغروب.

ما بينهم» قالوا: يا رسول الله، تلك منازلُ الأنبياء، لا يبلغها غيرهم؟ قال: «**بلى والذي نفسي بيده رجالٌ آمنوا بالله، وصَدَّقوا المُرسلين**»[1].

وعن أبي مالك الأشعري أن النبي ﷺ قال: «**إن في الجنة غرفاً يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعمَ الطعام، وألانَ الكلامَ، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناسُ نيام**»[2].

ب ـ خِيَامُ الجَنَّةِ وجِنَانُها وَتُرْبَتُها:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إنَّ للمؤمن في الجنة لَخَيمةً من لؤلؤة واحدة مُجَوَّفَة، طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها**

(١) متفق عليه.

(٢) «صحيح الجامع» (٢١١٩).

أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضُهم بعضاً»[١].

وفـي حـديث الإسـراء عـن أنـس بـن مـالـك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «... **ثم انطلقَ بي جبريلُ حتى نأتيَ سِدْرَةَ المُنتهى، فغشيها ألوانٌ لا أدري ما هي! قال: ثم أُدخِلْتُ الجنةَ فإذا فيها جنابذ**[٢] **اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك»**[٣].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**جَنَّتَان من فضةٍ آنِيَتُهُما وما فيهما، وجَنَّتَان من ذَهَب آنِيَتُهُما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى رَبِّهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عَدْن»**[٤].

---

(١) متفق عليه.

(٢) القباب والخيام.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

ج ـ شجرها:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ في الجنةِ شجرةً يسير الراكبُ الجواد المُضَمَّر**[1] **مئة عام ما يقطعها**»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما في الجنة شجرةٌ إلا وساقُها من ذَهَب**»[3].

د ـ سُوقُها:

عن أنسِ بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إن في الجنة لَسُوقاً يأتونها**

---

(١) هو الذي رُبط وعُلف وسُقي مدة كثيرة، ثم رُكِضَ في الميدان حتى يَخفَّ وَيدقَّ.

(٢) متفق عليه.

(٣) «صحيح الجامع» (٥٥٢٣).

كلَّ جمعة، فَتَهُبُّ ريحُ الشَّمَالِ، فتحثو[1] في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حُسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حُسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتُم بعدنا حُسناً وجمالاً، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حُسناً وجمالاً»[2].

هـ ـ قُصُورُهَا:

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلتُ الجنة فإذا أنا بقصرٍ من ذهب، فقلت: لمن هذا؟ قالوا: لرجل من قريش؟ فظننتُ أني أنا هو، فقلتُ: ومَن هو؟ قالوا: عمر بن الخطاب، فما منعني أن أدخله يا ابن

(١) تهيل.

(٢) رواه مسلم.

الخطاب إلا ما أعلم من غيرتك» قال: وعليك أغار يا رسول الله[١]؟.

و ـ أَنْهَارُهَـا:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«دخلت الجنة فإذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ، فضربتُ بيديَّ إلى ما يجري فيه الماءُ، فإذا مِسْكٌ أَذْفَرُ[٢] فقلت: ما هذا يا جبريل؟** قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله»[٣].

١٠ ـ أعْظَمُ كَرَامَةٍ فِي الجَنَّةِ:

عـن صُـهَـيْـب بـن سِـنَـان قـال: قـال رسول الله ﷺ: **«إذا دَخَلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ وأهلُ**

---

(١) متفق عليه.

(٢) طيب الريح.

(٣) «صحيح الجامع» (٣٢٦٠).

النارِ النارَ، نادى مُناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً يريدُ أن ينجزكموه، فيقولون: وما هو؟ ألم يثقِّل الله موازيننا، ويبيِّض وجوهَنا، ويدخلنا الجنة، ويُنجنا من النار؟ فَيُكشف الحجاب، فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهُمُ الله شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إليه، ولا أقرَّ لأعينهم»[1].

١١ ـ أقَلُّ أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً وأَعْلاهُم:

عن المُغِيرَة بن شُعْبَةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «سأل موسى ربَّه: ما أدنى أهل الجنة منزلةً؟ قال: هو رجلٌ يجيءُ بعد ما أُدخِلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ، فيقالُ له: أُدخل الجنة، فيقول: أي ربِّ كيف؟ وقد نَزَلَ الناس منازلهم وأخذوا

(١) «صحيح الجامع» (٥٣٥) وانظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (١٤٤)، و«موارد الظمآن لدروس الزمان» (١٣١/٤ ـ ١٣٦).

أَخَذَاتِهم[1] فيقال له: أترضى أن يكون لك مثلُ مُلْكِ مَلِكٍ من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيتُ ربِّ، فيقول: لك ذلك ومثلُه ومثلُه ومثلُه ومثلُه، فقال في الخامسة: رضيتُ ربِّ، فيقول: هذا لك، وعشرة أمثالِه، ولك ما اشتهت نفسك وَلَذَّتْ عينُك، فيقول: رضيتُ ربِّ، قال: ربِّ فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردتُ[2]، غرستُ كرامتهم بيدي وختمتُ عليها، فلم تَرَ عينٌ ولم تسمع أُذُنٌ ولم يخطر على قلب بشر»[3].

❋ ❋ ❋

اعلم يا عبدَ الله أنَّ أصحابَ الجنةِ هم أصحابُ الشعور بخشية الله، خشيةً تدفعُ إلى كلِّ

(١) أي: ما أخذوه من كرامة مولاهم وما حَصَّلوه.
(٢) أي: اخترتُهم واصطفيتُهم.
(٣) رواه مسلم.

صلاح، وتنهى عن كلِّ انحراف، هذا الشعورُ الذي يزيحُ الحواجزَ، ويرفعُ الأستارَ، ويقفُ القلبُ عارياً أمام الواحدِ القهَّار، هذا الشعور الذي يُخَلِّصُ العبادةَ والعملَ من شوائِبِ الرِّياءِ والشركِ في كل صورةٍ من صُوَرِهِ.

فالذي يخشى ربه حقاً لا يملك أن يجعل في قلبه ظلاً من غير إخلاص العمل لله، فهو يعلم أن الله يردُّ كلَّ عمل ينظر في العبدُ إلى غيره معه، فالله أغنى الشركاء عن الشرك، فإما عملٌ خالصٌ له، وإلا لم يقبله، قال رسول الله ﷺ: **«قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، مَن عَمِلَ عملاً أشرك فيه معي غيري، تركتُه وشركَه»**[١].

فأصحابُ الجنةِ مُتَّقُون، خائفون، مُتَرقِّبُون، والله عزَّ شأنُه وتبارك اسمه لا يجمع على نفسٍ

---

(١) رواه مسلم.

خوفين: خوفها منه في الدنيا، وخوفها يوم القيامة، فمن اتقاه في العاجلة أَمِنَهُ في الآجلة، ومع الأمان في أفْزَعِ موطنٍ، يَغْمُرُهُ بالأنس والتكريم[1].

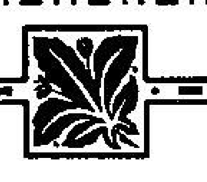
قال ﷺ: **«قال الله عزَّ وجلَّ: لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له أَمْنَيْنِ، فإنْ أَمِنَني في الدنيا، أخفته يوم القيامة، وإنْ خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة»**[2].

❋ ❋ ❋

---

(١) «اليوم الآخر في ظلال القرآن» (٣٣٢ ـ ٣٣٣).

(٢) «صحيح الجامع» (٤٢٠٨).



(٤)

تبيين طريق السائرين إلى جنان المتقين[1]

تلك هي الجنةُ، واضحةُ المعالم، جَلِيَّةُ التفاصيل، وهذا هو طريقها، مُسَهَّلٌ، مُعَبَّدٌ، عليه أعلامُه، وفوقَه أنوارُه، وها نحن في مبتداه، فَلْنَسِرْ سيراً حثيثاً إلى منتهاه، حيث أبوابُ الجنة مُفتَّحة للسالكين.

(١) بزيادات وتَصَرُّفٍ من «رسائل الجزائري» (٦٣٤ ـ ٦٣٩).

ها هو الطريق كما رسمه رسول الله ﷺ بجوامع كلمه:

«حُفَّت الجنةُ بالمَكَارِه، وحُفَّتِ النارُ بالشهوات»[1].

«كلُّ أمتي يدخلون الجنة إلا مَن أبى، مَنْ أطاعني دَخَلَ الجنة، ومن عصاني فقد أبى»[2].

«لقد تركتكم على مثل البيضاء[3]، ليلُها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك»[4].

قد بيَّن النبيُّ عليه السلامُ في هذه الأحاديثِ الطريقَ ورسمه واضحاً لكل ذي بصيرة، فهلمّ أيها

---

(١) «صحيح الجامع» (٣١٤٢).

(٢) رواه البخاري.

(٣) أي الملة والمحجة الواضحة.

(٤) «صحيح الترغيب والترهيب» (٥٨).

الإخوة لنسيرَ سوياً: إخواناً متحابين، وأصدقاء متعاونين، فهيا بنا، هيا بنا!!

إن الطريق أيها الإخوة السائرون بين أربع كلمات:

اثنتان سالبتان، واثنتان موجبتان.

فالسالبتان: الشرك والمعاصي.

والموجبتان: الإيمان والعمل الصالح.

من هذه الكلمات الأربع يتكوَّن الطريقُ القاصِدُ إلى الجنةِ، دارِ الإقامَةِ والكَرَامَةِ.

وها هو ذا قد أُشير إليه بكلمة التوحيد: «لا إله إلاَّ الله، محمد رسولُ الله»؛ إذ الأولى تعني أنه لا معبود بحقٍّ إلا الغفور الودود[1] فليُعْبَد وحدَه

---

(١) انظر كتاب «مصرع الشرك والخرافة» (١٧ ـ ٣٤) للأخ الأستاذ خالد محمد علي الحاج.

بالإيمان واليقين، والطاعة له ولرسوله بالصدق والإخلاص الكامِلَيْنِ، والثانيةُ تعني أن النبيَّ محمداً ﷺ هو الرسولُ الخاصُّ ببيان كيف يُعبدُ الله وحدَه في هذه الأكوان، وأنه لا يتأتى لأحدٍ أن يعبد الله دونَ إرشاده ﷺ وبيانه.

والآن أيها الإخوة السائرون، فلنسلك الطريق مسترشدين بإشارة «لا إلـه إلاَّ الله، محمد رسول الله»:

فلنعتقد جازمين أن خالقنا هو الذي خلق هذه العوالم، ودبَّرها بقدرته وعلمه، ومشيئتِه وحكمته، وفيها تجلت آثارُ صفاته العُلى وأسمائِهِ الحسنى، فبقدرته تعالى كانت هذه الأكوان، وبعلمه تعالى انتظم شأنها، وسارت إلى غاياتها في نظام محكم بديع.

ولنعتقد جازمين أنه لا مشاركَ لله تعالى في

خلق هذه العوالم، ولا مُدبِّر لها معه سواه، إذ لو كان ذلك لظهر في العوالم التضاربُ والتناقض، وَلأَسْرَعَ إليها الفناء والزوال.

ولنعتقد جازمين أنه متى لم يكن لله تعالى شريكٌ في الخَلْق والتدبير، فإنه لا يكون له شريك في الطاعة والعبادة، فلا ينبغي أن يُعبَد معه أحدٌ أبداً، سواءٌ كانَ مَلَكاً أو نبياً مرسلاً، أو دون ذلك من سائر المخلوقات، وسواء كانت العبادة صلاةً أو دعاءً، أو صوماً أو ذبحاً، أو زكاة أو نذراً.

ولنعتقد جازمين بأن هذا الإِلٰه العظيم ـ الذي انفرد في الخَلْق والتدبير، واستحق العبادةَ الخالصةَ له ـ هو إلٰهٌ عظيمٌ مُتَّصِفٌ بصفات التنزيه والكمال والجلال، فنُثْبت له سبحانه ما أثبته لنفسه من صفاتٍ في كتابه، ونثبت أيضاً ما أثبته له أعرفُ خلقِهِ به سيدُنا محمد ﷺ، من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تكييف.

ولنعتقد جازمين أن حاجةَ الناس إلى الرُسُل في بيان الطريق إلى الجنة اقتضت إرسالهم، وإنزال الكتب عليهم، من هنا وَجَبَ تصديقُ كافة الرسل واتِّبَاعُهم، ووجب الإيمان بالكتب السماوية التي أنزلها الله على أولئك الرسل، كما وَجَبَ أيضاً الإيمانُ بالملائكة الأبرار، وبالقَدَر، والمَعَادِ، والحِسَاب والجزاء.

بهذه النقاط الخمس المشتملة على الإيمان الصحيح، نكون قد عرفنا ربع الطريق إلى الجنة ـ أيها السائرون ـ فإلى الربع الثاني، وهو العمل الصالح:

فلنُقِم الصلاة بأنْ نَتَطَهَّر لها طهارة كاملة، ونؤديها في أوقاتها جماعةً، أداءً جيداً، مستوفياً كافة الشروط والفرائض والسنن والآداب، فنوافق بها صلاة رسول الله ﷺ.

ولنؤتِ زكاةَ أموالِنا أهْلَها من الفقراء والمساكين، والغارمين[1]، والمجاهدين، وَلْنَتَحَرَّ في إخراجها الجودة والكمال والإخلاص الكامل فيها لله تعالى.

ولنصُم رمضان، بالإمساك عن المُفَطِّرات، والبُعد عن المشتبهات، والمحرّمات في الأقوال والأفعال والخواطر والنيات.

ولنحجَّ بيت الله حجاً كَحَجِّ رسول الله ﷺ موسوماً بالبرور، وذلك بأدائه أداءً صحيحاً خالياً من الرفث والفسوق والجدال، محفوفاً بالخيرات، مفعماً بالصالحات.

ولنبرَّ الوالدين بطاعتهما في غير معصية الله، وبالإحسان إليهما ببذل المعروف، وإسداء الجميل

(١) وهم المديونون الذين أثقلهم الدَّيْن.

من القول والفعل، مع كفِّ الأذى عنهما، ولو كان ضجراً منهما، أو عدم رضا عنهما.

ولنصل أرحامنا ببرهم وزيارتهم، والسؤال عنهم، والتعرف إلى أحوالهم ومساعدتهم بما في القدرة وما هو مُستطاع.

ولنحسن إلى الجيران بإكرامهم المتمثل في الإحسان إليهم وكفِّ الأذى عنهم.

ولنكرم الضيفَ إكرامَه الواجبَ علينا وله، وذلك بإطعامِهِ وإيوائِهِ.

ولنكرم المؤمن بتحقيق أخوته القائمة على أساس أداء حقوقه: من السلام عليه عند ملاقاته، وتشميته عند عطاسه، وتشييع جنازته عند مماته، وعيادته إذا مرض، وإبرار قسمه إذا أقسم.

ولنعدل في القول والفعل والحكم، إذ العدلُ

في الكلِّ واجبٌ محتم، وبه يستقيم أمر الدين والدنيا، ويصلح شأن العباد والبلاد.

ولنلتزم بالمظهر الإسلامي العظيم، ففيه إحياءٌ للسُّنة، وإماتةٌ لسنن الكافرين.

وإلى هنا تَمَّ نصف الطريق - أيها السائرون -، ولم يبق إلا نصفُه الآخر، والذي هو ترك الشرك والمعاصي، فلنواصل السير بلا كلل ولا ملل، ولنترك الشرك، وذلك بأنْ:

لا نعتقد أن مخلوقاً من المخلوقات كائناً من كانَ يملك لنفسه أو لغيره ضراً أو نفعاً دونَ مشيئة الله وإذنه، وعليه فلنحصر رغبتنا في الله، فلا نرغب في أحدٍ سواه، فلا نسأل مخلوقاً، ولا نستشفع أو نستغيث بآخر، إذ لا معطي ولا مغيث إلا الله، فلنقصر رغبتنا عليه، ورهبتنا وخوفنا منه.

لا نصرف شيئاً من عبادة الله تعالى إلى أحد

سواه، فلا نحلف بغير الله، ولا نذبح على قبرٍ أيِّ قبر! ولا ننذر نذراً لغير الله، ولا ندعو غير الله، ولا نستغيث بسواه.

لا نعلق خيطاً أو حديدة نرجو بها دفعَ العين أو كشف الضر، فإنه لا يدفع العين، ولا يكشف الضُّر إلا الله.

لا نصدق كاهناً أو عَرَّافاً أو منجِّماً فيما يخبر به ويدَّعيه من عِلْم الغَيْبِ، إذ لا يعلمُ الغَيْبَ إلا الله.

لا نطيع سلطاناً أو عالماً أو أباً أو شيخاً في معصية الله، إذ طاعةُ غير الله ـ بتحريمِ ما أحلَّ الله، أو تحليلِ ما حرَّم ـ من الشِّرك.

بهذه الخطوات الخمس ـ أيها السائرون ـ نكون قد عرفنا الربع الثالث من طريق الجنة، ولم يَبْقَ إلا الربع الأخير، وهو ترك المعاصي وبعدها

نواصل إلى باب الجنة، وندخلها - إن شاء الله - مع الداخلين، فهيا بنا نواصلُ سيرنا أيها السالكون:

فلنحفظ الدماغ: فلا نفكر فيما يضر، ولا ندبر ما يسوء من فسادٍ أو شرٍّ.

ونحفظ السمع: فلا نسمع باطلاً من إثم أو فحش، أو كذب أو موسيقى، أو غيبة أو نميمة، أو هَجْر أو كفر.

ونحفظ البصر: فلا نسرحه في النظر إلى ما لا يحل النظر إليه من أجنبية غير محرمة مسلمة أو كافرة، عفيفة أو فاجرة.

ونحفظ اللسان: فلا ننطق بفحش أو بذاء، ولا سوء أو كذب أو زور، أو غيبة أو نميمة، أو سب أو شتم.

ونحفظ البطن: فلا نُدْخِلُ فيه حراماً - طعاماً

كان أو شراباً ـ فلا نأكل رباً، ولا مَيْتَةً، ولا خنزيراً، ولا نشرب مُسكراً، ولا نُدخِّنُ تبغاً ولا تنباكاً.

ونحفظ الفرج: فلا نطأ غير زوجة شرعية أو ما مَلَكَتْ أيمانُنا مِمَّا أباحه الله لنا وأذِنَ فيه.

ونحفظ اليد: فلا نؤذي بها أحداً بِضَرْبٍ أو قتل، ولا نأخذ بها مالاً حراماً، ولا نلعب بها ميسراً، ولا نكتب بها زوراً أو باطلاً.

ونحفظ الرِّجل: فلا نمشي إلى لهو أو باطل، ولا نسعىٰ بها إلى فتنة أو فساد أو شر.

ونحفظ العهد والشهادة والأمانة: فلا ننقض ذِمَّةً، ولا ننكث عهداً، ولا نخلف وعداً، ولا نشهد زوراً، ولا نخون أمانة.

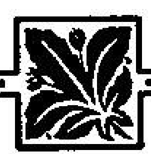
ونحفظ المال: فلا نُبَذِّرُه، ولا نُسْرِفُ فيه،

كما لا نُهمِلُه ولا نضيعه، ولا نتركه دون إنماء أو إصلاح.

ونحفظ الأهل والولد في أبدانهم وعقولهم وأخلاقهم وعقائدهم، فندفع عنهم ما يؤذيهم أو يضرُّهم أو يُفسد أرواحَهم أو عقولَهم، وندرأُ عنهم كلَّ ما يُرْدي أو يُهلك أو يُشقي.

هذا هو الطريق أيها السائرون، فلنكن مستعدين لتنفيذه وتطبيقه في حَيَاتنا، ولا يتسنى لنا هذا إلا بالعلم الصحيح المستمدِّ مِن كتاب الله جلَّ جلالُه، وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام.





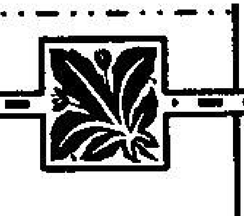
الخاتمـــة

هذا آخر ما لخَّصتُهُ في وَصْفِ نعيم الجنة والتعريف بالطريق المؤدية إليها، كما بيَّنه الله في كتابه، وأوضحَهُ رسولُهُ ﷺ في الصحيح من سُنَّتِهِ، والله سبحانه وتعالى هو المسؤول أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن يغفر لكاتبه ولوالديه ولمشايخه، ولقارئيه، وأن يجعلهم من أصحاب جنات النعيم، وأن ينفع به من انتهى إليه، إنه خير مسؤول وأكرم مأمول، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين.

وكتب

أبو الحارث علي بن حسن



الفهرس

الموضوع	الصفحة